المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 27-09-2006 العـــدد : 12417
الصفحـات : 20 المسلسل : 148

ملف صحفي

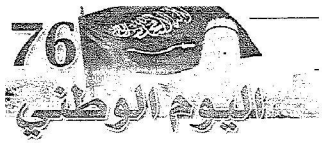

نحو تأصيل الوعي الوطني

ثنيان بن عبدالله النويعم

حُق لنا أن نفخر أيما فخر، وتاريخنا الوطني يتسطر بكل شرف واعتزاز في مدونات التاريخ الإنساني بكل أبعاده، لاسيما بعد أن وصفت لنا ذاكرة التاريخ الأشلاء المتناثرة لجزيرة العرب قبل العام التاسع عشر الهجري من القرن الماضي.. (صحاري.. خوف.. نصب.. جوع.. قبائل وعشائر تدور في رحى التنازع والتقاتل.. قُرى ذات نخل أو حواضر على البحر.. لم تسلم من رياح (الفقر والجهل والمرض)، حالٌ وصفها الشاعر محمد بن عبدالله العثيمين بقوله:

وقد كان في نجد قُبيل ظهوره
من الهرج ما يُبكي العيون تفاصله
فما بين مسلوب وما بين سالب
وآخر مقتول ومُذاك قاتله
فكم أخذوا مالاً وكم سفكوا دماً
وكم تركوا سرباً تبكي أرامله

حتى الحرمان الشريفان سادهما أنواع من العنف والاستبداد وسوء المعاملة، وعانى حجاج بيت الله من الظلم والعدوان، فبعث أحمد شوقي بقصيدته إلى السلطان عبدالحميد يصف الحال ويقول:

ضجّ الحجاز وضجّ البيت والحرم
واستصرخت ربها في مكة الأمم
أفي الضحى وعيون الجند ناضرة
تسبى النساء ويؤذى الجند والحشم
ويسفك الدم في أرض مقدسة
وتستباح بها الأعراض والحرم

ولكنها إرادة الله الماضية لذلك الفارس الملهم، والمؤسس العظيم، الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود – رحمه الله – الذي جعل غايته تخليص الجزيرة العربية مما هي عليه من فرقة وشتات، وأن يوحدها تحت راية واحدة تذيب كل ما بين أجزائها من خلاف وانشقاق، آباؤه، وأجداده في الدولتين السعودية الأولى والثانية انطلاقاً من ذلك الميثاق العظيم بين إمامي الدعوة السلفية الإصلاحية الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب – رحمهما الله – لقد كان الملك عبدالعزيز يستشعر تلك المعاني والغايات – وهو في مقر إقامته المؤقتة على أرض الكويت – ويرمق تلك الأوضاع، ويستقرئ الأحداث ونتائجها، بل يفكر ويخطط ويرسم آمال الوحدة من على جواده، ويعد رجالاته بالنصر والتمكين ثقة بالله وتصديقاً لوعده – رغم الصعوبات وقلة الإمكانات المادية – كيف لا وهو يقول في دعاء له: (اللهم إن كان قصدي إعلاء كلمة الله ونصرة الإسلام والمسلمين فأرجو منك التوفيق والتأييد والنصر، وإن كان قصدي خلاف ذلك فأرجو منك أن تريحني بالموت العاجل).

وتمضي إرادة الله عز وجل عندما تحقق الأمل باسترداد الرياض صبيحة الخامس من شوال ١٣١٩هـ فاستقبله أهلوها الذين عرفوه وعرفهم مرحبين ومبايعين، من هنا تتغير الموازين وترتسم نقاط التحول نحو تأسيس دولة.. وبناء كيان.. وتوحيد وطن.. خلال مرحلة زمنية عصيبة امتدت لأكثر من ثلاثة عقود (ما يقارب اثنين وثلاثين عاماً) إلى أن توجت بإعلان توحيد المملكة في ١٧ جمادى الأولى ١٣٥١هـ تحت مسمى (المملكة العربية السعودية).

إن مرحلة الاثنين والثلاثين عاماً تلك تُعد مرحلة التأسيس الجبروتي بكل ما يعنيه هذا الوصف من معنى.. مرحلة دارت خلالها الحربان العالميتان الأولى والثانية وما نتج عنهما من تأثيرات سياسية وأمنية واقتصادية على المنطقة.

إنها مرحلة معارك التكوين والتوحيد التي منها معركة الشنانة وروضة مهنا ومن ثم الطرفية وجراب ومن بعدها كنزان التي جُرح فيها الملك عبدالعزيز وقُتل فيها أخوه سعد، وكذلك معركة تربة وصولاً إلى السبلة وما بعدها.

إنها مرحلة انطلاقة الدبلوماسية السعودية وما شهدته من اتفاقيات مؤتمر العقير ومن ثم اتفاقية بحرة واتفاقية حدة وغيرها على مستوى السياسة الخارجية، أما على صعيد السياسة الداخلية فيبرز أمامنا عقد ثلاثة مؤتمرات في الرياض للمصالحة الوطنية قبل معركة السبلة.

وإنها كذلك مرحلة تأسيس العمل الإداري للدولة كإنشاء مجلس الشورى ومديرية المعارف وجهاز تنفيذي لإدارة الدولة تحت مسمى مجلس الوكلاء.

فحقٌ لنا أن نسميها المرحلة الجبروتية لتأسيس الوطن.. مرحلة الاثنين والثلاثين عاماً (من ١٣١٩ إلى ١٣٥١هـ).

قادها الملك عبدالعزيز – رحمه الله – بكل حنكة واقتدار، وأقام دعائم دولته على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ناشراً الدعوة السلفية الصافية كما دعا لها إماما الدعوة الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب، رغم ظهور الدعاوى والافتراءات التي أرادت النيل من هذه الدعوة المباركة، فمن مقولاته رحمه الله: (إنني رجل سلفي، وعقيدتي هي السلفية التي أمشي بمقتضاها على الكتاب والسنة) وقوله: (نحن لسنا أصحاب مذهب جديد، أو عقيدة جديدة، ولم يأت محمد بن عبدالوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه السلف الصالح..).

فلا غرو أن نجد سيرته رحمه الله مليئة بالصور النبيلة لإكرامه العلم والعلماء فكانت هذه اللمحة المتميزة بين الملك عبدالعزيز والعلماء في الدولة السعودية والتي قل نظيرها في العالم الإسلامي، فكانت وقائع مجالسه ورحلاته ومكتباته تتحدث عن مدى عمق العلاقة بأهل العلم من خلال مشاوراته لهم وتوقيرهم وتناصحه معهم فيما يحقق المصلحة العامة للبلاد، وكان من أول اهتماماته – رحمه الله – أن يرسل جموعاً من العلماء والدعاة إلى الهجر والقرى والقبائل ليعلموهم أمور دينهم، واهتمامه كذلك بطباعة الكتب وشرائها وإهدائها للعلماء وطلاب العلم.

وافتتح في عهده دار التوحيد بالطائف وكلية الشريعة بمكة وقبلها المعهد العلمي، حيث تحدث – رحمه الله – لأول دفعة تخرجت منه، يقوله: (أيها الأبناء إنكم أول ثمرة من غرسنا الذي غرسناه بالمعهد، فاعرفوا قدر ما تلقيتموه من العلم واعلموا أن العلم بلا عمل كشجرة بلا

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 27-09-2006 العـــدد : 12417
الصفحـات : 20 المسلسل : 148

ثمر..).

وقال كذلك – رحمه الله – في برقية لابنه سعود عندما أصدر أمراً بتعيينه ولياً للعهد: وأوصيك بعلماء المسلمين خيراً، احرص على توقيرهم، ومجالستهم، وأخذ نصيحتهم، واحرص على تعميم العلم، لأن الناس ليسوا بشيء إلا بالله، ثم بالعلم ومعرفة هذه العقيدة احفظ الله يحفظك..).

وبعد، إنها إرادة الله عز وجل ونعمه العظمى والجليلة أن توحد وطننا الغالي (المملكة العربية السعودية) على يد المؤسس العظيم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ورجاله المخلصين – رحمهم الله –.

وإن المتأمل في حاضرنا منذ ذاك التاريخ ١٣٥١هـ إلى يومنا هذا، ليدرك تمام الإدراك النقلة الهائلة التي نعيشها ونتنعم بها منذ عهد الملك عبدالعزيز – رحمه الله – والوثيقة تلو الوثيقة في عهود أبنائه من بعده – رحمهم الله – وصولاً إلى عهدنا الزاهر الميمون بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود – أيده الله – وسمو ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود – رعاه الله –.

فإذا كان أولئك الرجال الأفذاذ المخلصون قد كسبوا التحدي – رغم كل الصعوبات – وبنوا هذا الوطن الغالي، الذي ننعم برخائه وأمنه وعزه.

فهل نكون نحن أبناء هذا الوطن – بكل فئاته وشرائحه – على مستوى التحدي لبناء مستقبل الرقي والحضارة لوطننا المعطاء؟

هذا ما نرجوه.

□ وقفة..

يقول الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري في كتابه (عند الصباح حمد القوم السُرى): الملك عبدالعزيز وحد بوعي سياسي وخُلقي (المملكة العربية السعودية) وجمعها من الشتات، وكفاها من قيام ثلاثين أو أربعين علماً من أعلام القرى على سارية هيئة الأمم (المتحدة).

الإدارة العامة للتربية والتعليم بمنطقة الرياض